المثاقفة الفكرية بين المغربين الأوسط والأقصى

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

م . م. رنا جبوري موسى العيساوي

كلية الاداب/جامعة القادسية

الملخص:

ان الغرض الاساس للبحث هو التركيز على اهمية التلاقح الفكري والثقافي بين الشعوب والامم لما له من اهمية كبيرة في تنقيت الافكار من الآفات والانحرافات لاسيما اذا عرفنا ان الاختلاف هي سنّة الهية تحكم الامم منذ وجود الخليقة لأنها المحرك نحو تصحيح الآراء والمتبنيات فضلا عن احترام الراي الآخر .

وما شهدناه من المثاقفة بين المغربين الاوسط والاقصى يعد نموذجا لهذا التقارب والاختلاف الذي كانت له الثمرة المرجوة في تبادل الخبرات الثقافية والفكرية ، وقد لعبت عوامل كثيرة في هذه المثاقفة منها الرحلات العلمية لطلاب العلم وتنقل العلماء فضلا عن القرب الجغرافي بين المغربين ، ولا ننسى ما للتجارة من الدور الوسيط في هذه المثاقفة .

وكان الوضع السياسي وما مرت به المنطقة المحفز الرئيس لنقل الثقافة بين المغربين من خلال ما قام به الحكام من الرعاية اللازمة لطلاب العلم وبناء دُور العلم والمساجد التي كانت محط انظار العلماء فضلا عن المكتبات العامة التي كانت تسمى خزائن الكتب والتي ارتادها الطلبة والعلماء لما احتوته من نفائس علمية ثمينة .

وتعد تجربة المثاقفة بين المغرب الاوسط والاقصى تجربة يحتذى بها لمن اراد التقارب الثقافي او السياسي او الاجتماعية ذلك ان اي تقارب في اي مجال لابد ان يلازمه تقارب في المجالات الاخرى كما حدث بين المغربين فصحيح انها كانت مقاربة ثقافية لكنها لم تقتصر على هذا المجال بل تعدته الى المجالات الاجتماعية والدينية والسياسية وهذا ما ظهر في طيات هذا البحث .

المقدمة :

كان لإزدهار الثقافة وانتشارها بين أفراد وشعوب المغرب عوامل كثيرة فمتى اجتمعت ارتقي مستوى التثاقف والمثاقفة ومتى انعدمت فقدت الثقافة وذهب ريحها ، فتوفير المراكز والمنشآت الثقافية التي تحتضن العالم من شأنها أن تخرجه إلى النور

وتؤهله للخوض في الحقل الثقافي ، كما أن التشجيع والإهتمام برجالات الثقافة والعلم يشتمل على إطلاق حريتهم في ميدان المعرفة حتى يلقّح المثقفون معارفهم ويشحذوا قرائحهم ويطّلعوا على كل ما هو جديد .

ولا يمكن لأي مجتمع مهما كانت درجة تحضره أن يؤسس من غير ثقافة ولا من كتّاب يعكسون اهتماماته الفكرية وألوان ثقافته الدينية والعلمية ، ولا يمكن أن تكتمل ملكاته دون التعاطي مع الأخر، وهذا ما ظهر بين المغربين الأوسط والأقصى قبل القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، ويتجلى بصورة أكبر خلالهما .

وقد لمع خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين عدد من الفقهاء والعلماء والمحدثين والصوفية ، كانت أسماء بعضهم ومؤلفاتهم متداولة ومشهورة في بقاع شاسعة من المغرب الإسلامي ، وكان هذا غير منتظر في منطقتين كادت الأزمات والصراعات المتوالية أن تقضي عليهما ، ورغم أن القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كان يعتبر عصر إنحطاط ، اذ ظهرت فيه بوادر الإضمحلال للمغربين في الدولتين الزيانية والمرينية فإن هذا لم ينضب من جرائه معين الإنتاج المكتوب أثناء هذا القرن ، ولم يحل دون توطيد العلاقة الثقافية بين أقطار المغرب.

وقد أدت عملية المثاقفة بين المغربين إلى تفتق ورواج الحياة الثقافية والعلمية ، مما أمكن المغرب الإسلامي آنذاك من السير في ركب التطور الثقافي الحاصل في العالم الإسلامي ، ومهما تكن قيمة النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا المتواضعة في المثاقفة الفكرية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، فإن الموضوع لا يزال في الكثير من جوانبه بحاجة إلى دراسة متفحصة مدقق لاسيما تحت هذا العنوان .

جذور التواصل الثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى :

أدّت المتغيّرات السياسية والاقتصادية التي ألقت بضلالها على المغرب الإسلامي والأندلس خلال العقد الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي الى ظهور مراكز ثقافية وعلمية جديدة منها بجاية وتلمسان اللتّين غيّرتا من طبيعة العلاقات الثقافية مع المغرب الأقصى ، وقد جسدها رواد من الصوفية ، اذ جذبت بجاية إليها في النصف

الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عددا من طلبة وشيوخ المغـــرب الأقصى ، أخذوا عن أبي مدين شعيب وعادوا إلى أوطانهم في المغرب مؤثرين في الحياة الثقافية والفكرية [1] .

وتعود أولى نفحات التواصل الفكري بين المغربين إلى أواخـــر القـــرن الرابـــع الهجري / العاشر الميلادي وبداية القرن الخامس الهجري / الحادي العشـــر المـــيلادي ، ومن أوائل علماء المغرب الاوسط الذين كان لهم سبق الاتّصال العلمي بفاس العاصـــمة العلمية والثقافية للمغرب الأقصى آنذاك ، العالم ابن النحوي المعروف وهو مـــن كبـــار الفقهاء المالكية في عصره (433–513ه / 1042–1119م) ، اذ كان متقن لعلوم اللغة ودخل سجلماسة وأقام مدة في فاس ، واتصل بعلمائها فأخذ عنهم وأخذوا عنه ثم عاد إلى المغرب الأوسط واتّجه إلى قلعة بني حماد التي كانت في أوّج ازدهارها ، وقـــد تتبعنـــا مسار هذه العلاقات عبر المراحل التالية :

المرحلة الأولى : كانت خلال المدة الزمنية من نهاية القرن الخامس الهجري / الحـــادي عشر الميلادي وبداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، جلبت فاس إليهـــا طلبت العلم فرحل إليها من المغرب الأوسط لاسيما أولئك الذين يقطنون بالجهة الغربيـــة منه وبالذات تلمسان ، ومن الذين كانوا معروفين[2] خلال هذه الفترة حسن بـــن إبـــراهيم المعروف بابن زكون (484– 553هـــ / 1091–1158م) عارف بالحديث الذي نشـــأ بتلمسان ورحل إلى فاس لطلب العلم بها ، وعلى الرّغم من قلة علماء المغرب الأوسط في فاس خلال هذه المدة من علاقتهم بها كمركز ثقافي وعلمي فإن ذلك يمكن إدراجـــه فـــي ميدان وضع الأسس الأولى لتواصل علمي وثقافي وبشري بين المغربين والتي ما لبثت أن أخذت في تطور إيجابيا كماً وكيفا [3] .

المرحلة الثانية : وخلال هذه المدة التي تصادف عهد الموحدين وجزءً من عهد المرينين والزيانيين، تضاعف عدد علماء المغرب الأوسط في فاس لأسباب قد نتوقف على بعضها من خلال التراجم والسير لبعض العلماء الذين يلاحظ توجههم نحو فاس لا من المنـــاطق المجاورة للمغرب الأقصى ولكن أيضا من مناطق عدة من المغرب الأوسط ، ولعل مـــن أهم هؤلاء في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي هو أبو الربيع المعـــروف بالتلمساني (ت 579هـــ / 1183م) الذي كان في خدمة ملوك الرباط بالمغرب وعمـــل موثقاً في مدينة سلا ومنها انتقل إلى فاس وأستقر بها إلى أن توفي فيها ، وكذلك أبو حسن

المعروف بـــ أبن أبي جنون التلمساني (ت 577هـــ / 1182م) من كبار علماء عصره استقر في المغرب الأقصى ، وولي قضاء مراكش ثم عاد إلى وطنـــه تلمســـان وتـــوفي فيها[4].

المرحلة الثالثة : كان القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي يمثل جزءً عاماً من المرحلة التي نحن بصدد دراستها ، ونلاحظ بوضوح العدد الهام لعلماء المغرب الأوســـط في المغرب الأقصى لاسيما وان هذه الحقبة تمثل عهدي الموحـــدين والمـــرينيين التـــي امتازت بسياسة رشيدة فيما يتعلق بالعلم والثقافة والعمران ، لذلك فلا غرابة أن نجد هـــذا العدد الهائل من العلماء الذين كانوا يتنقلون بين حواضر المغرب الإسلامي ، ومن علماء هذه المرحلة الذين استقروا نهائيا في فاس ونشأوا و تعلموا فيها هم : الهواري حسن بـــن حجاج بن يوسف أبو علي (ت 598هـــ / 1202م)، وهو أديب وكاتب بليغ من ضواحي بجاية سكن مراكش وتوفي بمدينة فاس، ثم نقل جثمانه إلى مراكش ودفن بها ، والوهراني محمد بن علي (ت 601هـــ / 1205م) ، قاض من كبار الفقهاء في وقته ولـــد وتفقـــه بوهران وانتقل إلى تلمسان التي ولي قضائها ، ثم رحل إلى مراكش وتولى بهـــا قضـــاء الجماعة مرتين ، وكان حميد السيرة شديد الهيبة ، عارف بالأحكام ، سريع الفصل بـــين الخصوم ، موصوف بالعدل ، ومن علماء تلمسان الذين حظوا باهتمام ملـــوك المغـــرب فاستقدموهم إليهم مكرمين مبجلين ، أبو عبد الله بـــن اللحـــام التلمســـاني (558هـــــ / 1163م)، ولعلمه استقدمه المنصور يعقوب بن يوسف المريني إلى مراكش ، ومنهم أبـــو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي الخطيب من بجايـــة ، ولـــي قضاء مراكش وكان له صلابة في الأحكام أحيانا وفراسة تخرجه عن قانون الشريعة ولا تستهويه [5] .

و قد استمر التواصل العلمي والثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي وامتد إلى جزء من القرن الذي يليه في ظل الدولتين الزيانيين والمرنيين [6] الذي عرف عهدهما جوّاً من التنافس والصراع [7] .

ويمثل عصر الموحدين ذروة النشاط الفكري في بلاد المغرب والانـــدلس لتـــوفر العلماء القادمين من مختلف العالم الإسلامي، وقد أغدقت الدولة بسخاء على طلاب العلم ، فبنت لهم المعاهد ووضعت تحت تصرفهم خزائن الكتب ، وكان بعـــض خلفـــاء الدولـــة أنفسهم من كبار العلماء والأدباء مثل (عبد المؤمن) و (المنصور) و (المـــأمون) ،

كما عرف عن (أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن) أنه كان يبحث عن الكتب والعلماء من أقطار المغرب والاندلس ، وكان ممن صحبه من العلماء المشهورين (أبو بكر محمد أبو طفيل) أحد فلاسفة المسلمين وصاحب رسالة حي بن يقضان ، كما جلب إليه من الفلاسفة أبو الوليد ابن رشد ، اذ حثّه على التأليف في علوم الفلسفة وشرح غامضها وكلّفه بتلخيص كتاب أرسطو [8] .

وأمام هذا الاهتمام تطورت الحياة الفكرية في مختلف فروع المعرفة مثل الفقه والتفسير والقراءات والجغرافيا ، والرحلات والتاريخ والرياضيات والطب والمنطق وعلوم الفقه والأدب [9] .

وبذلك يتبين أنّ الموحدين قد مهدوا بثورتهم الفكرية وإرثهم العلمي الثقافي الأرضية الخصبة لازدهار المعارف و تطورها مما نتج عنه التلاقح في الأفكار والتأسيس لسلوك المثاقفة .

واتخذت العلاقات الثقافية والفكرية بين المغرب الأوسط [10] والأقصى [11] قبل القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، صورة محتشمة لم ترق إلى مستوى التأثير والتأثر بين الطرفين بسب ارتباط المغرب الأوسط ثقافيا وفكريا بالقيروان التي تعدّ مركزا علما وعاصمة سياسية أقدم من فاس ، وكذا ارتباط المغرب الأقصى ثقافيا وسياسيا واقتصاديا بالأندلس [12] .

ومما يمكن ملاحظته أن هناك بعض العلاقات الثقافية والفكرية التي كانت تربط المغرب الأوسط بالأندلس ، ناهيك عن وجهة علماء المغربين الأوسط والأقصى إلى المشرق ، بعد أن جذبتهم علومه وعلماؤه [13] .

وخلال عصري المرابطين والموحدين تبلور الفكر العلمي بفاس [14] في كل مجالات المعرفة ووازن بين نتاج التجربة العلمية من جهة ونتاج الفكر النظري بما ينطوي عليه من عقل ونفس ، ولعل العامل الجوهري في تبلور هذا الفكر العلمي بفاس أن المدينة أصبحت آنذاك مجمع لعلم القيروان وقرطبة ، اذ رحل علماء المدينتين متخذين من فاس مقرّا لهم تلك المدينة التي أصبحت تسمى بغداد المغرب [15] .

عوامل وادوات المثاقفة الفكرية بين المغربين الاوسط والاقصى :

- دور الجغرافيا :

- المغرب الاوسط :

يعد الموقع الجغرافي والاستراتيجي لتلمسان من أهّم الأسباب التي ادت الى لمعان اسمها ، فقد جعلها همزة وصل بين الناحية الشرقية والناحية الغربية من أرض إفريقية الشمالية من جهة وبين حوض المتوسط وبلاد السود من جهة أخرى [16] ، فكانت قاعدة المغرب الأوسط وملك زناتة ومتوسطة قبائل البربر [17] ، كثيرة الخيرات والنعم لها قرى كثيرة ومدن متعددة ، وقد كان بها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة : باب الحمام ، باب وهيب ، وباب الخوخة ، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرّة [18] ، وقد جعلها البكري مفتاح افريقية الغربية الذي يعبر منه مسافري المغرب الأقصى وقوافل حجيجها قاصدين بذلك بلاد المشرق ، ولا غرابة في أنّ الكثير قد استهوتهم ؛ فهي منبت ومحطّ العلماء والمفكرين وطلاب العلم والمعرفة ، وبها من المدارس الناهضة والمساجد العامرة ما يساعد على تفعيل الحركة الثقافية [19] .

وكانت مدينة فاس عاصمة المغرب الأقصى من أبرز دول المغرب التي ارتبطت ثقافياً بتلمسان لاسيما إذا علمنا أن المسير من مدينة تلمسان إلى مدينة فاس عشرة مراحل، سبع منها إلى رباط تازا [20] ، وثلاث إلى فاس [21] ، في تلمسان بذلك جهة الغرب الأقصى من المغرب الأوسط وفاس متاخمة لها من جهة الشرق [22] .

ومن المدن الهامة أيضا وهران وهي على ساحل البحر الأبيض المتوسط على مسافة 140 ميلا من تلمسان ، فيها العمارات والمؤسسات والمشافي الكبيرة والمدارس والحمامات والفنادق وأكثر سكانها من الصناع والتجار ، وبهذا تعد من أبرز المدن الحضارية ، وعلى مسافة بضعة أميال من وهران مدينة المرسى الكبير ، أسسها سلاطين تلمسان على ساحل البحر المتوسط وبإمكان أن ترسو عليها مئات السفن والمراكب ولا يوجد لها مثيل في عصر بني زيان ، وقد كانت تلجأ إليها سفن البنادقة أثناء هيجان البحر، وكذا مازونة التي كانت على بعد نحو أربعين ميلا من البحر تمتد على مسافة شاسعة وهي مدينة متحضرة ، وكانت محّط أنظار سلاطين فاس وذلك لقربها من حدود مملكتهم و لأراضيها الزراعية المنتجة [23] .

ومن اهم مدن المغرب الاقصى مدينة فاس التي تميزت بحسنها من بديع الموقع بعذوبة مائها واعتدال هوائها وطيب تربتها وحسن ثمرها وسعة المحرث وعظيم بركتها وبها أنهار متدفقة وجنات ورياض تحتف بها ، وهي أم بلاد المغرب وقاعدته ويصفها المراكشي بقوله : " ما أظنّ في الدنيا مدينة كمدينة فاس ، أكثر مرافق وأوسع معايش ... فهي لا تحتاج إلى مدينة في شيء مما تدعو إليه الضرورة ، بل هي توسع البلاد مرافق وتملؤها خيرا " [24] ، كما أن ازدهار العلوم بها راجع إلى خراب القيروان حاضرة المغرب بعد الغزو الهلالي وتراجع دور قرطبة الثقافي باضطراب أمر بني أمية في الأندلس، مما جعلها محطّ هجرات العلماء و الفضلاء ، فكانت بحّق بغداد المغرب [25] ، ولم تزل من يوم أن أسست مقصدا للزوار ، اذ نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والأطّباء ، فهي دار علم وفقه وحديث وفقهاؤها من الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب، وهذا ما عمل على تأجيج الحركة الفكرية فيها وجعلها نقطة يصبو إليها كلّ شغوف للعلم والصلاح [26] .

اهمية التجارة في عملية التلاقح الفكري بين المغربين :

لقد حظيت الدولة الزّيانية والمرينّية بمركز ممتاز في التجارة نظرا لما تمتّعتا به من امتيازات جغرافية واقتصادية ، فقد كانت بحكم موقعها منطلقا للبضائع القادمة من أوروبا وغيرها من البلاد المسيحية ومنتهى للبضائع الصحراوية وعلى رأسها الذهب ، وبرزت علاقاتها التجارية مع المغرب الأقصى بشكل كبير فكان التجار يرسلون بضائعهم التي كانت تمر عبر نقاط هامة ورئيسة من أبرزها هنين [27] مقصدا للتجار والتي لا يفصلها عن تلمسان سوى أربعة عشر ميلا ، وميناء المرسى الكبير الذي كان معروفا باتساعه لمئات السفن والمراكب لاسيما تلك القادمة من جنوة والبندقية ، ولا شك أن هذا التواصل الذي جمع بين تجار المغربين الأقصى والأوسط نتج عنه تلاقح في حضارة هذين البلدين وثقافتهما والتفاعل فيما بينهما ، إذا ما عاد التّجار إلى موطنهم حملوا معهم عادات وأفكار وعلوم جديدة تلعب دورا فعالا في ثقافة المغربين ، اذ أنّ السلع دليل على حضارة المجتمع الذي أنتجت فيه ومظهر من مظاهره ، فهي لا تحمل فائدة عملية فقط ؛ بل ومدلولات حضارية وفكرية [28] .

دور الاولياء في تفعيل التزاوج الفكري والثقافي بين المغربين :

لقد كان للنشاطات المختلفة التي قام بها الصوفية الأثر البالغ في نمو وازدهار الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الإسلامي وعلى وجه الخصوص المغرب الأوسط ثم الأقصى التي تحولت بعض حواضرهما إلى مراكز إشعاع فكري نهلت منهما روافد الحضارة الإسلامية في مجال التصوف والعلوم النقلية ، كما تعكس مظاهر الاحتفاء والتقدير التي أوليت لرجال الصوفية والأولياء فكانوا بذلك محل اعتراف العامة والسلطة، وقد برز دور الأولياء من حيث الغوص في المجتمع والتفاعل معه وتقديم الحلول والبدائل لاسيما في قضايا الفقر والأمراض والانحلال الأخلاقي والتماسك الاجتماعي ، وقد استطاعوا التمكن من نفوس العامة والخاصة وانتشرت كراماتهم حتى صاروا جزءً من الأولوية والتفكير الاجتماعي [29] .

وقد زخرت بلاد المغرب آنذاك بمراكز المتصوفة والأولياء والزهاد فإلى جانب العبّاد التي ذاع صيتها وشهرتها نجد هناك في المغرب الأقصى مدينة سلا [30] إلى كونها كذلك مركزا ثقافيا له أهميته في تنشيط الحركة العلمية الثقافية بسبب ما نالته من اهتمام الملوك ، فقد كانت سلا المغربية مرتع للزهاد والنّساك ومقر الصالحين ، وتكلّم بن القنفد عن من حلّ فيها من الأولياء وكثر أعدادهم ، وكانت مقصد حتّى السلاطين ، فكان السلطان عبد العزيز يتردد على الولي الصالح عبد العزيز الصنهاجي إلى جانب هذا عمرت بالزوايا ويأوي إليها الأخيار المنقطعون فهي مدينة معمورة بالخير والبركة [31] .

وقد لعب الأولياء دورا لا يستهان به في مساعدة العلماء في صنع العلوم ، فقد كان الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الهزميري (ت706هـ / 1306م) ولي صالح جليل من أغمات في المغرب الأقصى كان أعجوبة في زمانه يتحدث عمّا في ضمائر الناس ، وقد أخبر عنه الشيخ عالم المسائل الحسابية ابن البناء المراكشي (ت 721هـ / 1321م) الفرضي العددي ، كان يقصده في حل المسائل العلمية التي تُشكَل عليه في الهندسة ، فقد إنتفع به وطلبته من المغرب الأوسط والأقصى في علومه الدينية و الدنياوية [32] .

أهمية المراكز الدينية والثقافية في ترسيخ وتنشيط الحركة العلمية :

لقد كان لازدهار كل مدن المغربين الأوسط والأقصى وتفتق مختلف العلوم بهما خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين /الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين إلى أن تكون مقصد للعابرين لاسيما إذا علمنا أن هذه المدن قد شاع بها من المدارس والمساجد

والزوايا ما أهلها لأن تكون مركزا ثرّيا لتفعيل الثقافة بين سكانها والوافدين عليها ، وقد ساعد على ذلك حصاد قرنيين من النشاط الثقافي والعلمي بفعل جهود المرابطين والموحدين ، فقد أوجدوا حقل خصبا ومجالات ثقافية وعلوم وآداب ، نزهت بها المراكز العلمية لبلاد المغرب ، وكانت نقطة الانطلاق إلى توسع الأفق العلمية والثقافية على مختلف الأصعدة [33] .

أ- المساجد :

كان المسجد من أهمّ مراكز العلم في المغرب الإسلامي ، اذ كان يموج بالفقهاء والعلماء والطلاب ، وكان الشيوخ يجلسون عند أحد الأعمدة ويتحلّق الطلاب حولهم ثم يتولى هؤلاء الشيوخ تدريس العلوم الدينية والشرعية والنحو واللغة ، ويذكر كمال السيد انهم كانوا يحلقون في المساجد الجامعة للفتيا ومذكرة العلم والخوض فيه وقراءة الحساب وإعراب الأشعار ، كذلك اعتمد بعض الفقهاء قراءة الكتب والوعظ بالمساجد ، وقد كان المسجد بالإضافة إلى وظيفته الأساسية مجتمعاً للمسلمين ومركزاً دينياً واجتماعياً ومقر للفصل في القضايا والخصوم [34] .

ومن مساجد المغرب الاقصى مساجد فاس التي قامت بدورها كمعهد للتعليم جامع القرويين [35] الذي يعد مركزا علميا ذا أهمية عظيمة يحج إليها الطلبة من جميع أنحاء المغرب الإسلامي لتلقي العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم الأخرى [36] ، فقد اتّخذ جامع القرويين صبغة دراسية جامعية إلى جانب صبغته الدينية الأساسية ، فصار بعد ذلك مركز إشعاع روحي في المغرب الأقصى [37] .

وقد كانت الكثير من العلوم تدرس في جامعة القرويين منها علم الفرائض والحساب والإسطرلاب، والرياضيات ، والهندسة ، والطبيعة ، وبذلك كان مركزها الثقافي يحاكي مراكز أثينا في أوروبا لكثرة مشايخها وطلبتها ، وعندما نسمع المقولة المأثورة " أعراف أهل فاس وأقوالهم لابد أن تجد كلها سندا في أصول الشرع و في بطون الكتب" ، فلا عجب من ذلك فعلماء القرويين بما نشروه في هذه المدينة من علوم وآداب جعلوا النّاس على صلة مستمرة بالحَرْف والكتاب [38] .

ب- الزوايا والأوقاف :

لقد تزايدت أهمية الزاوية لدى النّاس فأصبحت قبلة لهم لطرح قضاياهم وملاذا يلجأون إليه وقت الحاجة ، وقد أدركت السلطة قدسيتها عند العامة ، فبادر بعض

السلاطين إلى تأسيس بعض الزوايا والعمل على إنجاح دورها الدّيني والتعليمي ؛ التماسا لرضى الرعية من الناحية السياسية وتنشيط الحياة الثقافية من جهة أخرى ، ومن الزوايا التي لعبت دورا مهمّا في احتضان طلبة العلم والصوفية سواء من أبناء المغرب الأوسط أو القادمين من خارجه نذكر منها : زاوية أبي يعقوب ، وزاوية سيدي الحلوي ، وزاوية سيدي أبي مدين بالعباد [39] .

ومن زوايا المغرب الأقصى التي لم يقّل شأنها عن كافة زوايا المغرب الإسلامي الزاويتان القديمة والحديثة ، اذ تتكفل هاتين الزاويتين بإيواء الطلبة وتوفير متطلبات معيشتهم واستقبال الواردين وعابري السبيل والزاوية المتوكلية أعجوبة المغرب والمشرق التي كانت واسعة وصلبة القواعد [40] .

وما زاد في تدعيم نشاط الحركة العلمية وتسهيلها الأوقاف والأحباس فلم يبخل الملوك بجراياتهم وأعطياتهم على الزوايا ومختلف المؤسسات التعليمية ، كذلك المحسنين من العامة الذين كان لهم نصيب في تيسير دراسة الطلبة وعابري السبيل من إيواء ومأكل و مشرب ونسخ للكتب وغيرها من المتطلبات الأخرى [41] .

ج- **المـــــدارس :**

كانت العلوم في العصر الإسلامي الأول تدرس في المساجد نظرا لتوسع الفتوحات الإسلامية وتلاقح الأفكار بين المسلمين وباقي الحضارات الأخرى إلى جانب عدم قدرة المسجد على استيعاب مختلف الأنشطة العلمية والعبادية معا ، وبعد توسع نطاق العلوم وتنوعها وكثرة المنشغلين بطلب العلم كان من اللازم أن تنشأ مؤسسة أخرى تقوم بعبء التعليم وتكون موئلا للمنشغلين به [42] .

وتأخر ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي بحوالي قرنيين من الزمن عن ظهورها بالمشرق الإسلامي ، وكان ذلك في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي بافريقية في عهد الحفصيين ، ثم بعدها في مملكة فاس في عهد أبو يوسف يعقوب المريني أواخر سنة (679هـ /1280م) [43] ، أماّ في المغرب فإن مدرسة ابني الإمام كانت أولى المدارس في العهد الزياني (710هـ /1310م) [44] .

واما المدارس في المغرب الاقصى فأمام انتشار المدارس بالمغربيين الأدنى والأقصى، حاول سلاطين بني زيّان من جانبهم إنشاء المدارس مضاهاة لما يحدث في الدولتين المجاورتين ورعاية للعلم ومساهمة في نشره [45] ، فشهدت بذلك مدارس تلمسان

عصرا من التألق والسّطوع ، فاجتذبت إليها كبار العلماء ، وكانت تلعب دورين أساسين في وقت واحد ، فإلى جانب كونها محلا للعبادة كانت كذلك مركزا لتكوين العلماء المتصوفين ورجال الثقافة [46] ، ومدرسة ابني الإمام التي كانت أول مدرسة في المغرب الأوسط والتي كانت بمثابة الحجر الأساسي في تكوين قاعدة صلبة للثقافة والعلوم في الدولة الزيانية ، والمدرسة التاشفينية نسبة إلى مؤسسها السلطان أبو تاشفين الأول ، ومدرسة أبي مدين بالعباد التي درس فيها ابن مرزوق الخطيب ، وابن خلدون ، وابن مرزوق الحفيد ، وغيرهم من العلماء ، ممّا يؤكد مساهمة هذه المدرسة في إنتاج جيل من كبار العلماء [47] ، ومدرسة سيدي الحلوي ، والمدرسة اليعقوبية .

د- خزائن الكتب :

اتشرت خزائن الكتب في المجتمع المغربي وساهم السلاطين والعلماء والخواص في تقديم يد العون وتوفير الأحباس لها ، فقد حرص السلاطين على إنشاء مثل هذه المكتبات الضخمة والخزائن ، فهي تشكل معلما من معالم سياسة الدولة في الاهتمام بالعلوم وتقريبها للدارسين ، ومن اهم خزائن الكتب في المغرب الاوسط القصور التي احتوت على مخطوطات ونسخ من القرآن الكريم و كتب السنّة والسيرة والتفسير وكتب الفقه والتصّوف [48] .

واحتوت المساجد والزوايا والمدارس على خزائن كتب ساهم بها السلاطين والوقف وأصحاب العلم ، وكانت المساجد الكبيرة ، تضم مجموعة من الكتب في علوم مختلفة : كتب التفسير والفقه والأصول إلى جانب كتب اللغة العربية والحساب والتاريخ والأدبيات ، كما احتوت المدارس على نفائس الكتب في علوم مختلف التخصصات [49] ، وقد كان لخزائن الأسر اهتمام واسع بجمع الكتب وترتيبها في خزانة داخل البيوت وكان العلماء أشدّ النّاس حرصا على تكوين مكتبات خاصة في بيوتهم تجمع في رفوفها العلوم العقلية والنقلية وسائر الفنون [50] .

خزائن الكتب بالمغرب الأقصى:

وكانت خزائن الكتب في المغرب الاقصى عبارة عن بعض المكتبات والخزائن في كثير من المدن المغرب وحواجزه لاسيما بفاس وسبتة ، اذ يذكر أن عدد الخزائن العلمية بسبتة فقط اثنان وستون خزانة وأن مدينة فاس كانت من المركز العلمية الهامة لما احتوت من غرائب كتب الفقه المالكي فلا يوجد في غيرها ، كما أنها احتوت على شيء من

الكتب الغريبة التي لا يشاركها من بلاد المغرب فيه غيرها ، واشتهرت بعض حواضر المغرب بأسواق الكتب التي تزخر بالكثير من المعارف و الفنون [51] .

دور الهجرة الأندلسية في تنشيط الحياة الثقافية:

تعود هجرة العلماء الأندلسيين إلى حواضر المغرب لأسباب تعود إلى التّدهور السياسي الذي أصاب الأندلس عقب سقوط الدولة الأموية حوالي (430 هـ/1039م) ، وهذا التدهور السياسي حفّز بعض العلماء للهجرة إلى المغرب الأوسط والأقصى وإلى إفريقية رغبة منهم في الاستقرار واستئناس بالوضع السياسي الذي تكون فيه السلطة الإسلامية قوية ، كذلك عبور المرابطين إلى الأندلس والذي كان فتحها خير وبركة على النهضة الثقافية والحضارية في المغرب، اذ هاجر كثير من أعلام الأندلس إلى المغرب مقرّ السلطة الحاكمة ونقلوا معهم حضارتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم ، فصارت مراكش منتدى الأدباء والشعراء وملتقى الحكماء والعلماء ، وإنّ صلة الأندلسيين بتلمسان في عهد بني زيان كانت قوية ومتينة لاسيما إذا علمنا أنّ سلاطين بني زيان وعلى رأسهم أبي حمو الثاني قد خصص إعانات للأندلس المحتضرة لكثير المرات وبإطرارهم الخروج من فردوسهم جعلهم يوجهون مقصدهم إلى تلمسان حاملين معهم تراثهم الفكري المهني الذي ينم عن ماضي مجيد وحضارة عريقة [52] .

كما شهدت مدينة فاس هجرات أندلسية كثيرة ، وكان لهذا الاحتكاك أثره في توجيه أنظار أهل البلاد إلى الأخذ بأسباب العلوم يقتبسون من علماء الأندلس ويأخذون بأدواتهم ، وما لبثوا أن شاركوهم في جميع علومهم [53] .

ومن بين علماء الأندلس الذين هاجروا إلى بلاد المغرب و كان لهم وقع ثقافي كبير لسان الدّين ابن الخطيب ، وأبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد ، والفقيه الفاضل يونس بن عطية الونشريسي ، وكان للسان الدين ابن الخطيب تجربة احتكاك ثقافي مع أبرز أعلام المغرب آنذاك وهما ابن خلدون ، وابن مرزوق التلمساني ، بحيث تبادلوا الرسائل وجمعتهم الكثير من المجالس العلمية [54] .

مظاهر المثاقفة بين المغربين الأوسط و الأقصى :

لقد تعددت مظاهر التواصل الفكري والثقافي بين المغرب الأوسط والأقصى ، وكان روادها علماء وملوك حرصوا على خدمة العلم وكانت لهم إسهامات في ميادين عدة أثروا المغربيين بعلومهم المختلفة ، وبرزت الكثير من وسائل التثاقف التي كانت حلقة

الوصل منها الرحلة العلمية، اذ هناك كثيرا من العلماء الأجلاء لم تكن تعيقهم الحدود والحواجز السياسية ولم يكونوا يخافون أو يرهبون من الأمراء والملوك ، بل أن الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر هو شعار أغلبهم ، وكانوا بحق علماء عالميين ينتقلون بين مختلف العواصم الإسلامية للعلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتأليف والنّصح ، وبتعدد مراكز الثقافة في الديار الإسلامية أدى إلى تنقل رجال العلم من إقليم لآخر يدرسون على مشاهير العلماء والأساتذة ، ويلتقون بأعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين ثم الأطباء والفلاسفة والّرياضيين [55] .

وبعد القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي من العصور التي ازدهرت فيها العلوم والآداب في الغرب الإسلامي ونبغ فيه رجال استفادوا من التراث الثقافي الذي خلقته الدولتان العظيمتان المرابطية والموحدية ، اذ امتاز هذا العصر بانتشار الأفكار الصوفية واستيلائها على العقول نتيجة الحركة التي بدأت أيّام الموحدين ، وقد قوّى هذا الاتجاه ضعف المسلمين في الأندلس و تغلّب النصارى عليهم [56] .

ومن بين الذين كانوا وجوها للمثاقفة بين المغربين الأوسط والأقصى في حقلي العلوم النقلية والعقلية نذكر العلوم العقلية والعلوم الدينية لاسيما الفقه والحديث ، ومن بين الذين تصدروا في هذا الاختصاص الشيخان الشقيقان ابني الإمام البرشكي ، الفقيه أبو زيد عبد الرحمن (ت 743هـ / 1342م) ، والعلامة أبو موسى عيسى (ت 749هـ / 1348م) ، اذ كانت لهما الصدارة في مجلسه [57] ، اتّجها صوب المغرب الأقصى حيث اجتمعا بشيوخ فاس (سليمان السطي) ، و (اليفرني) وتفقها على أصحاب أبي عبد الله ابن الشعيب الدكالي [58] ، بالإضافة إلى الفقيه القاضي (أبو محمد عبد الحق بن سعيد) الذي كان قائما على كتاب أبي عمرو ابن الحاجب في مذهب مالك ، وقد كان قد قرأه على علمي تلمسان والأفق المغربي أبي موسى و أبي زيد [59] .

وكان للتصوف الدور الكبير بعملية المثاقفة اذ كانت أولى نفحات التواصل الثقافي والفكري بين المغربين كان روادها من الصوفية ، اذ جذبت بجاية إليها منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي طلبة وشيوخ المغرب الأقصى كما ظهر التأثر الثقافي من خلال رحلات صوفية المغرب الأوسط إلى حواضر المغرب الأقصى كفاس ومراكش وسلا وسجلماسة [60] .

وحظيت العلوم اللسانية والدراسات اللغوية وما يتفرع عنها من العلوم والآداب بإقبال كبير من طرف طلبة العلم بالمغربين خلال هذا العهد حيث نجد أبو عبد الله محمد بن عمر التلمساني (ت 708 هـ / 1308م) ، كان أديبا فاضلا حافظا لأشعار العرب وعارفا بأخبارهم وأقوالهم ، قال فيه ابن خلدون : " كان لا يجارى في البلاغة والشعر " ، فضلا عن الأديب والكاتب والشاعر العظيم أبو العباس أحمد بن علي المليـاني (ت715هـ/ 1315 م) ، كان قد اتصل ببني مرين وعاش طويلا تحت ظلّهم .

وقد شملت الرحلة العلمية أيضا السلاطين ، اذ نجد منهم أبو حمو موسي الثاني ابن يوسف بن عبد الرحمان ابن يحي بن يغمراسن بن زيان (ت 791 هـ/1389م)[61] ، وقد كانت فاس في تلك الفترة تعدّ من أهم مراكز الثقافة الإسلامية ، وكان فيها كثير من العلماء المشهورين مما جعلها تكون قبلة له منذ (737 هـ /1336م) فبها انقطع للانشغال بطلب العلم ومطالعة كتب الحكمة والأخلاق والسياسة والعلوم الدينية ، فكان بذلك مستواه في الفنون الأدبية عالي جدا فزخر بذلك إنتاجه النثري والشعري واستمر ذلك إلى سنة (750 هـ/1349 م) [62] .

وبرز فن الخطابة بقوة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، اذ كان لمجيديه القدرة على التأثير في النفوس ، فكان محمد بن أبي بكر مرزوق العجيسي (781 هـ/ 137م) من متصدريه ، اذ لقب بالسيادة الخطابية وعد من أكبر محدثي المغرب في القرن الثامن هجري / الرابع عشر الميلادي[63] .

وكان للعلوم الطبيعية الاثر البالغ في المثاقفة فقد اشتغل علماء المغرب بالكيمياء والطب والفلك والرياضيات وبرعوا فيها وألفوا كتبا قيمة ، فقد نبغ العلماء المغاربة في هذه العلوم وساهموا في تطويرها مساهمة كبرى لاسيما بعد عملية التواصل الفكري وتبادل المعارف والخبرات بين المغربين الأوسط والأقصى عن طريق الرحلة العلمية[64]، اما الرياضيات والحساب فقد حاز محمد بن محمد بن الصباغ الخزرجي المكناسي (ت750هـ / 1349م) على السبق في المعقول والمنقول ، وأخذ العلم عن شيوخ فاس ومكناسة ، وقد لازم الآبلي فأخذ عنه العلوم العقلية ، وكان من كبار العلماء الذين نالوا الحظوة لدى السلطان أبو الحسن المريني.

ومن العلماء في هذا المجال أبو عثمان سعيد بن محمد التجيبي العقباني التلمساني (ت 811هـ / 1408م) ، وأبو الحجاج يوسف بن اسماعيل (ت 845هـ-1441م) المتفنن في المعقول بالمغرب الأوسط والذي كانت له مشاركة في الرياضيات وكان مجلسه العلمي مقصد الطلاب من جميع دول المغرب [65] .

وقد اشتهر في علم الفلك شيخ التعاليم محمد بن يحيى بن علي أبو عبد الله التنسي (ت 749هـ / 1348م) من كبار علماء تلمسان في عصره [66] ، وأبو عبد محمد بن أحمد بن يحيى الحباك التلمساني (ت869هـ / 1462م) ، نبغ في علم الفلك وكذا الرياضيات ، اشتغل في التدريس ، كانت له أعمال في الفلك حيث نظم أرجوزة في الفلك سماها "بغية الطالب في علم الإسطرلاب [67] .

اما الطب فكان ممن برزوا العالم أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلالسي (ت767هـ / 1365م) اختصته الحضرة السلطانية لبني مرين ، حيث كان جراحا ممتازا ، قام بعملية جراحية لأمعاء السلطان أبي يعقوب المريني وأخاط الجرح الذي أصابه بالمنصورة أثناء حصاره لمدينة تلمسان، كما وقد اختصه السلطان أبو حمو موسى الثاني لبلاطه [68] .

اما المنطق فقد مثّله الإمام العلامة أهل المغرب في الفنون المعقولية محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الآبلي (ت757هـ / 1356م) ، وإلى جانبه برز أيضا محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق الحفيد العجيسي (ت843هـ / 1439م) [69] .

من خلال ما سبق يظهر لنا أن الرحلة من أهم مظاهر التعاون الثقافي لانها كانت دائمة أو مؤقتة داخلية أو خارجية ، يمكن أن تكون ورائها دوافع أخرى ثانوية ، كالأوضاع السياسية والاجتماعية غير أّنها تتركز نحو طلب العلم ، وقد تتبعث الهجرة الخارجية من عدم وجود جامعة علمية فكانت تكميلا لسنوات التحصيل في الداخل ، كما يظهر لنا من خلال تتبعنا لحركة التثاقف بين علماء المغربين ، قد تركزت في العلوم النقلية أكبر منها في العلوم العقلية .

ولعبت الرسائل منذ القدم دورا هاما ، فقد كانت أولى وسائل تواصل الشعوب والمجتمعات بين بعضها البعض ليشمل ذلك أيضا العلماء ، بحيث تكاتبوا في مختلف القضايا الدينية منها العلمية والثقافية وتبادلوا الآراء حول موضوعات عدة ، قد كانت

الرسائل تعبر عن مدى حرص العلماء على تتبع أخبار الحركة العلمية وآخر ما وصلت إليه ، وقد تجلى هذا في علماء المغربين الأوسط والأقصى ، فالمراسلات لعبت دورا كبير في عملية التثاقف بينهما .

ومن تلك الرسائل رسالة إبراهيم ابن حكم السلوي إلى محمد المقري الجد ، رسالة بن الفتوح التلمساني إلى عبد الله العبدوسي ، ومراسلة أحمد ابن الحاج الورنيدي التلمساني إلى ابن غازي محمد الفاسي ، ومراسلة بين علماء فاس ومحمد عبد الكريم المغيلي في قضية يهود توات ، ورسالة من طرف العالم محمد بن يوسف السنوسي إلى أحمد الونشريسي (70) .

ولعبت السّفارة دورا كبيرا في تدعيم حركة العلم والتلاقح الفكري والتثاقف بين أقطار المغرب الإسلامي لاسيما المغرب الأوسط والأقصى وذلك لأنها كانت توكل إلى العلماء فيقومون بدور الصلح ونقل سياسة ملوكهم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد يطول بهم المقام في ذلك البلد فينهلون من مراكزه العلمية ومشايخه ناهيك عن مجالس الملوك وبلاطهم الذي كان يعجّ بالفقهاء والصلحاء فتحدث عملية التأثر والتأثير فتقوى بذلك حركة التثاقف .

ومن تلك السفارات سفارة ابن مرزوق أحمد بن محمد من فاس إلى تلمسان الذ يعد رائد السفارة بين المغربين الأوسط و الأقصى ، وسفارة محمد المقري الذي وصل الأندلس سنة 757هـ/1356م سفيرا مبعوثا من السلطان أبو عنان المريني ملك فاس ، هذا الذي انتهج سنة أبيه في تزيين سفاراته بخيرة العلماء ، فطاب للمقري المقام بالأندلس ومن كانوا صحبته .

وقد فعّلت المناظرات التي احتضنتها مجالس بني مرين وبني زيان حركة التثاقف وتبادل المعارف في وقت كان قد نشط فيه ارتحال علماء وطلبة العلم بين حواضر المغربين الأوسط والأقصى ، اذ شغف السلاطين بالعلم وحبهم للعلماء دافعا لعقد هذه المناظرات التي طرحت فيها أفكار للمناقشة بين الأدباء والعلماء ورجال الدين والفقه والشعراء التي من خلالها يعرض هؤلاء قدراتهم العلمية وتحررهم الفكري في خوض مباحث جديدة لم يطرقها من سبقهم من الفقهاء متجاوزين بذلك أسلوب السرد والإلقاء الذي كان متداولا في العصور السابقة من عهد الدولتين والدفع به من خلال هذه المناظرات في

إطار جديد مشبع بالمناقشة والجدل والطرح البناء الذي يؤدي إلى تلاقح الأفكار والمعارف بين علماء المغربين .

ومن تلك المناظرات المناظرة التي دارت في مجلس السلطان أبو تاشفين التي كانت المناقشة تدور في حديث ورد في صحيح مسلم [71] ، ولنا مناظرة أخرى وقعت في فترة كانت فيها الدراسات الفقهية القانونية تعرف ازدهارا كبيرا ، فقد سجل نشاط كبير للعلماء للاجتهاد في دائرة المذهب المالكي .

وحسب ما ذكر في مجلة الأصالة انه جاء في (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) أن جماعة من التجار بمدينة سلا بالمغرب الأقصى اتفقوا على إخراج درهم عن كل بضاعة يشتريها واحد منهم لتوضع عند أمير التجار، وعند الحاجة إليها في دفع الضرائب يستعان بها ، فاشتكى الحاكة البائعون من ذلك ، واستفتوا الفقيه سعيد العقباني وكان قاضيا بسلا فأجابهم بالجواز ثم استفتوا الفقيه أحمد القباب بالرباط فأجابهم بالمنع ، ووقعت مناظرة كتابية بينهما ، فمن خلال هذا يتبين لنا أن هذه المناظرات قد أعطت صورة جليلة للنشاط الفقهي من خلال سعي المغربيين الأوسط والأقصى إلى التعمق في مباحثه ، والإجتهاد فيما لا نّص فيه وهو ما يؤدي إلى تبادل المعارف بين العلماء فينتج بذلك فكر ثقافي متميز .

وكانت المجالس العلمية الاثر الكبير في المثاقفة ، ومن أعظم المجالس العلمية والأدبية مجلس ابي عنان الذي ضم أشهر الشخصيات الثقافية من فحول الشعراء وأنبغ الأدباء وفطاحل العلماء وسائر المثقفين ذوي الصيت البعيد في المغرب ، فعد كتّابه من النخبة التي كان يشار أليها في المحافل والمجالس على صعيد المشرق والمغرب [72] .

الهوامش :

[1] الطاهر بونابي ، التصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هـ / 12 و 13م ، عين مليلة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004 ، ص281 ، 288 .

[2] عمار هلال : العلماء الجزائريون في البلدان الإسلامية بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين ، 3 /14هـ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995، ص146-148 .

[3] عمار هلال : المصدر نفسه ، ص 146-148 .

[4] المصدر نفسه ، ص151-152 .

[5] أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، ط2 ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981 ، ص213 .

(6) على الرغم من أن بني مرين و بني زيان من سلالة واحدة ، فقد كانت الخلافات بينهم كثيرة ، وتعددت الحروب حتى تمكن بنو مرين من الاستيلاء لوقت محدود على ندرومة وتلمسان ووهران ومستغانم وتنس ومليانة وشرشال والونشريس والمدية ، سنة 703 هـ/1303م ، لكن بني عبد الواد أبدوا شجاعة في الكفاح فأبعدوا الخصم عن مملكتهم واسترجعوا كل ما ضاع منهم ، فأنكمش بنو مرين إثر ذلك على أنفسهم محترمين الحدود التي اتفقوا عليها مع بني عبد الواد لكن الحروب ظلّت قائمة بين الطرفين وانتهت بضعفهما. ينظر : محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2006، ص295 .

(7) عمار هلال ، المصدر السابق ، ص154 .

(8) عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في التاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، دار المدار الإسلامي ، 2004 ، ص226 .

(9) المصدر نفسه ، ص226 .

(10) تقع بلاد المغرب الأوسط شرقا من بلاد المغرب الأقصى ، قاعدتها تلمسان ، وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزائر ، ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقيها بلاد بجاية في ساحل البحر . ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، تونس ، الدار التونسية ، د ت ، ص43 . يحدّها من الشرق مملكة إفريقية وما أضيف إليها من جهة الغرب وحدها من الشمال البحر الرومي ، وحدها من الغرب مملكة فاس من الشرق ، وحدها من الجنوب المفاوز الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان . ينظر : أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، ج5 ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د ت ، ص 144 .

(11) بلاد المغرب الأقصى مطل من الجهة الغربية على جبل درن الذي يتصل به جهة الشرق بلاد السوس وسجلماسة بلاد المغرب الأقصى في جوفيه ، ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش وأغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها ، رباط آسفي و سلا ، وفي الجوف عن بلاد مراكش ، بلاد فاس ومكناسة ، وتازا وقصر كتامة . ينظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 42،43 . أما حدودها من مدينة آسفي حاضرة البحر المحيط إلى وادي ملوية ومدينة تازا من الشرق، يحيط به البحر المحيط من جهة الغرب وجبال درن وما يليها من جنوبيه وجبال تازا من شرقيه والبحر الرومي من شماليه ، ينظر : القلقشندي ، المصدر السابق، ص147 .

(12) بونابي ، المصدر السابق ، ص276 .

(13) هلال ، المصدر السابق ، ص459 .

(14) فاس هي دار مملكة إدريس ابن عبد الله بن الحسن ، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واختلف المؤرخون في تسمية هذه المدينة ، فقيل إن إدريس الثاني لما شرع في حفر أساس المدينة وجد فيها فأس طوله أربعة أمتار ، فسميت المدينة فاس ، وهناك من قال إن المواضع التي بنيت فيها المدينة تسمي فاس وأن هذه التسمية راجعة إلى النهر الذي يخترق المدينة كان يسمي ساف ، فقلب لفظها فاس ،وقد أسست سنة 192 هـ/807م ، من طرف إدريس الثاني . ينظر : حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، ج1 ، ط2 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1983 ، ص193 .

(15) جمال أحمد طه ، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448 – 668هـ) ، ط1 ، القاهرة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2002 ، ص269 –277 .

(16) رشيد بورويبة و آخرون ، الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص383 .

(17) أبو عبيد عبد الله البكري ، المسالك والممالك ، حققه : جمال طلبة ، ج2 ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 ، ص259 .

(18) محمد بن عبد المنعم الحميري ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار ، حققه : إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975، ص135 .

(19) عبد العزيز فيلالي ، تلمسان دراسة اجتماعية ، ضمن أعمال ملتقى التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور ، جامعة منتوري قسنطينة ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ، 24/23 أفريل 2001 ، ص157 .

(20) مدينة بالمغرب الأقصى تقع في شرق فاس ، تمتاز بموقع إستراتيجي جعلها منذ أقدم العصور مركز حربي مهم ينظر : لسان الدين ابن الخطيب ، نفاضة الجرار في علالة الاغتراب ، تحقيق : احمد مختار البعادي ، القاهرة، دار الكتاب العربي للنشر والطباعة ، د.ت ، ص196 .

(21) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1998 ، ص256 .

(22) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص144 .

(23) حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص31،36 .

(24) المراكشي ، المصدر السابق ، ص257 .

(25) المراكشي ، المصدر السابق ، ص 257 .

(26) ابن أبي الزرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، حققه : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، الرباط ، المطبعة الملكية ، 1999 , ص45 .

(27) مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة وهي أنيقة حصينة لها ميناء صغير محروس ببرجين ، يحيط بها أسوار عالية متينة لاسيما من جهة البحر ، يقصدها العديد من التجار خاصة من البندقية . ينظر : الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص15 .

(28) محمد بن عمرو الطّمار ، تلمسان عبر العصور ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984م ، ص205.

(29) بونابي ، المصدر السابق ، ص286–288 .

(30) مدينة ببلاد المغرب الأقصى وهي قديمة أزلية بضفة الوادي متصلة بالعمارة التي أحدثها هناك احد ملوك عبد المؤمن وكان أرباب البلد قد اتخذوا مدينة بالعدوة الشرقية ، وهي معروفة بالسلا الحديثة ، ولها أسواق نافقة وتجارة رائجة . ينظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص319 .

(31) ابن قنفذ ، أنس الفقير وعز الحقير ، اعتنى بنشره وتصحيحه : محمد الفاسي وادولف فور ، ، الرباط ، منشورات المركز الجامع للبحث العلمي ، 1965 ، ص84 .

(32) ابن قنفذ ، المصدر السابق ، ص66 .

(33) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ط1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998 ، ص44،45 .

(34) كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتواي المعيار المعرب للونشريسي ، ج1 ، القاهرة ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 1996، ص115 – 116 .

(35) كان موضع هذا المسجد أرض بيضاء لرجل من هوارة أيام بناء فارس وبقدوم وفد القيروان إلى إدريس الأصغر كان من بينهم امرأة اسمها فاطمة بنت محمد القهري تكنى بأم البنين ، كانت قد خلفت إرث بعد موت زوجها وإخوتها ، وقد عزمت على إنفاقه في وجوه الخير وقد عزمت على بناء مسجد بعد أن ضاق مسجد الشرفاء ، وجامع الأشياخ أيما الأدارسة ، بوفود العرب والبربر إلى فاس من أنحاء المغرب والأندلس وكان ذلك يوم السبت 1 رمضان 245هـ /859م . ينظر : علي بن ابي الزرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص92–93 .

(36) جمال أحمد طه : المصدر السابق ، ص 272.

(37) أحمد حسن خضيري ، علاقات الفاطميين في مصر ودول المغرب ، ط1 ، القاهرة ، مكتب مدبولي ، د.ت ، ص196 .

(38) عبد الهادي التازي ، جامع القرويين – المسجد والجامعة بمدينة فاس – ، المجلد الثالث ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1972 ، ص726–728 .

(39) فيلالي ، المصدر السابق ، ص152 .

(40) ابن الخطيب الاندلسي : المصدر السابق ، ص 371 – 372 .

(41) كمال السيد أبو مصطفى ، المصدر السابق ، ص118 .

(42) عبد الجليل قريان ، السياسية التعليمية للدولة الزيانية (633–962هـ / 1236–1554م) ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2004 ، ص 68 .

(43) إبن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق ، ص 405 – 406 .

(44) ألفرد بل الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، ط3، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1987 ، ص351 .

(45) عبد الجليل فريان ، المصدر السابق ، ص60 .

(46) تلمسان ، سلسلة الفن والثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1975 ، مجلة الثقافة والإعلام ، ص40 – 41 .

(47) فيلالي ، المصدر السابق ، ص143، 145 .

(48) عبد الجليل قريان ، المصدر السابق ، ص84 .

(49) المصدر نفسه ، ص87 .

(50) عبد الجليل قريان ، المصدر السابق ، ص87–89 .

(51) كمال السيد أبو مصطفى ، المصدر السابق ، ص121 – 122 .

(52) الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص205 – 206 .

(53) جمال أحمد طه ، المصدر السابق ، ص268 .

(54) لسان الدين ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، ص374 .

(55) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ج8 ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1981 ، ص7 .

(56) ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص7 .

(57) ابن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمستان ، وقف على طبعه ومراجعته : محمد بن ابي شنب ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ت ، ص127–126 .

(58) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، المصدر السابق ، ص209 .

(59) ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، المصدر السابق ، ص374 .

(60) بونابي ، المصدر السابق ، ص281 – 282 .

(61) محمد بن عبد الله التنسي ، ، نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق : محي الدين بوطالب ، الجزائر ، منشورات دحلب ، 1992 ، ص168 .

(62) عبد الحميد حاجيات ، مساهمة المغرب العربي في إزدهار الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة الثقافة ، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ، العدد 81 /1989 ، ص72 .

(63) الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، المصدر السابق ، ص297 – 298 .

(64) عبد الحميد حاجيات ، المصدر السابق ، ص69 .

(65) ابو الحسن القلصادي ، رحبة القلصادي ، دراسة وتحقيق : محمد ابو الاجفان ، تونس ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، 1978 ، ص101 .

(66) احمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، خرجه : مجموعة من الفقهاء باشراف محمد حجي ، الرباط ، نشر وزارة الشؤون الاسلامية للمملكة المغربية ، 1981 , ص118 .

(67) كلمة يونانية الأصل لآلة فلكية أستعملت لقياس إرتفاع النجوم ، وأخذ إرتفاع الشمس ومعرفة وجودها في أي درجة من الكواكب وغايات إرتفاعها واستخراج عرض البلاد منها ، ومعرفة أقواس الليل والنهار وساعاتها الزمنية المستوية ، طوره المسلمون ووصل إلى أوربا في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أقدم إسطرلاب اليوم موجود في متحف بغداد ويعود إلى حوالي 184هـ . ينظر : حنان قرقوني ، من العلوم عند المسلمين ، ط1 ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 2006 ، ص144– 145 .

(68) عادل نويهض ، اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، ط21 ، بيروت ، مؤسسة نويهض للثقافة ، 1980 ، ص63 .

(69) احمد نوار ، اعلام واعمال علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن 9 – 19م ، الجزائر ، سلسلة الرياضيات الجامعية ، 2004 ، ص49 – 50 .

(70) الونشريسي ، المصدر السابق ، ج7 ، ص353 .

(71) أحمد بن القاضي ، لقط الفرائد من لفاظة حق الفوائد ، تحقيق : محمد حجي ، الرباط ، المطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، 1976 ، ص191 .

(72) المصدر نفسه ، ص130 – 131 .

المصادر :

1) الطاهر بونابي ، التصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هـ / 12 و 13م ، عين مليلة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004 .
2) عمار هلال : العلماء الجزائريون في البلدان الإسلامية بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين ، 3 / 14هـ ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية .
3) أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، ط2 ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981.
4) عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في التاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، دار المدار الإسلامي ، 2004.
5) (جمال أحمد طه ، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448 – 668هـ) ، ط1 ، القاهرة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، 2002.
6) رشيد بورويبة و آخرون ، الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984.
7) أبو عبيد عبد الله البكري ، المسالك والممالك ، حققه : جمال طلبة ، ج2 ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003.
8) محمد بن عبد المنعم الحميري ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار ، حققه : إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975،.
9) عبد العزيز فيلالي ، تلمسان دراسة اجتماعية ، ضمن أعمال ملتقى التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور ، جامعة منتوري قسنطينة ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ، 24/23 أفريل 2001.
10)عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1998.
11)ابن أبي الزرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، حققه : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، الرباط ، المطبعة الملكية ، 1999.
12)محمد بن عمرو الطّمار ، تلمسان عبر العصور ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984م .
13)ابن قنفذ ، أنس الفقير وعز الحقير ، اعتنى بنشره وتصحيحه : محمد الفاسي وادولف فور ، ، الرباط ، منشورات المركز الجامع للبحث العلمي ، 1965.
14)أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ط1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998 .

15)كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتواي المعيار المعرب للونشريسي ، ج1 ، القاهرة ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 1996.

16)أحمد حسن خضيري ، علاقات الفاطميين في مصر ودول المغرب ، ط1 ، القاهرة ، مكتب مدبولي ، د.ت.

17)عبد الهادي التازي ، جامع القرويين – المسجد والجامعة بمدينة فاس – ، المجلد الثالث ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1972.

18)عبد الجليل قريان ، السياسية التعليمية للدولة الزيانية (633-962هـ / 1236-1554م) ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2004.

19)ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، ط3، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1987.

20)تلمسان ، سلسلة الفن والثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1975 ، مجلة الثقافة والإعلام.

21)لسان الدين ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، د.ت .

22)زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ج8 ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1981 .

23)ابن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمستان ، وقف على طبعه ومراجعته : محمد بن ابي شنب ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ت .

24)محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، المصدر السابق ، ص209 .

25)ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، المصدر السابق ، ص374 .

26)بونابي ، المصدر السابق ، ص281 – 282 .

27)محمد بن عبد الله التنسي ، ، نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق : محي الدين بوطالب ، الجزائر ، منشورات دحلب ، 1992 ، ص168 .

28)عبد الحميد حاجيات ، مساهمة المغرب العربي في إزدهار الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة الثقافة ، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ، العدد 81 /1989 ، ص72 .

29)الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986.

30)ابو الحسن القلصادي ، رحبة القلصادي ، دراسة وتحقيق : محمد ابو الاجفان ، تونس ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، 1978.

31)احمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، خرجه : مجموعة من الفقهاء باشراف محمد حجي ، الرباط ، نشر وزارة الشؤون الاسلامية للمملكة المغربية ، 1981 .

32)عادل نويهض ، اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، ط21 ، بيروت ، مؤسسة نويهض للثقافة ، 1980.

33)احمد نوار ، اعلام واعمال علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن 9 – 19م ، الجزائر ، سلسلة الرياضيات الجامعية ، 2004.

34)أحمد بن القاضي ، لقط الفرائد من لفاظة حق الفوائد ، تحقيق : محمد حجي ، الرباط ، المطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، 1976 1 .

APSTRACT:

The main purpose of the research is to focus on the importance of intellectual and cultural cross-fertilization between peoples and nations because it is of great importance in the purification of ideas from pests and deviations, especially if we know that the difference is the divine year governing the nations since the existence of creation because it is the engine towards correcting views and adoptions as well as respecting the other opinion . And what we have seen from the culture between the Maghreb and the Middle East is a model of this convergence and difference, which had the desired fruit in the exchange of cultural and intellectual experiences has played many factors in this culture, including scientific trips to students of science and the transfer of scientists as well as geographical proximity between the Moroccans and do not forget what the trade of the intermediary role in this culture.

The political situation and the passing of the region was the main catalyst for the transfer of culture between the Moroccans through the efforts of the rulers of the necessary care for students of science and building the role of science and mosques that were the focus of scientists as wellas public ,which were called bookcases and frequented by students and scientists ,Scientific research . The experience of the culture between the Maghreb and the Middle East is an experiment for those who want cultural, political or social rapprochement .

Any convergence in any field should be accompanied by convergence in other fields as happened between the Moroccans . it is true that it was a cultural approach but not limited to this area The social , religious and political fields are shown in the folds of the research .